أحاديث انتشار الثراء والغنى في آخر الزمان

دراسة تحليلية

دكتور/ حمدان حمود الهاجري

دكتوراه في الشريعة الإسلامية

كلية دار العلوم، جامعة المنيا

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذى ألَّف الله به القلوب المتناحرة، وجمع به النفوس المتنافرة، وعلى آله الطيبين، ورضى الله عن صحابته الهادين المهديين، ومن سار على طريقهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين. أما بعد.

فلا شك أن المال له بريقٌ ولمعان، وسحر وفتنة، وأن قدرتَه على خطف القلوب لا تخفى على أحد، وطبيعة النفس البشريّة مركبة على الشغف بالمال واستهواء خضرته، كما قال سبحانه وتعالى: (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) [الفجر:٢٠]. أي: حبّاً كثيرا شديداً.

وعَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ "(١).

وباستقراء تاريخ الأمم في كل العصور؛ نجد قتلاً ودماراً وغاراتٍ وحروباً، أريقت فيها الدماء، وأُزهقت لأجلها الأرواح، ومؤامرات وخيانات تبدو على صفحات التاريخ كنقاطٍ سود تذمّ أصحابها أينما كانوا، وما أقدموا على فعلتهم المشينة –على الرغم من يقينهم بسوء العاقبة– إلا لسُكرهم بخمرة المال، ولأجله: باع الأخ أخاه، والرفيق رفيقه، واختلس الناس ما لا يحقّ لهم، والمرجع في ذلك كلّه: الفتنة بالمال.

---

(١) مسند أحمد ٨٥/٢٥، رقم ١٥٩٤، سنن الترمذي – أبواب الزهد – بَابُ مَا جَاءَ فِي أَخْذِ الْمَالِ، ١٦٦/٤، رقم ٢٣٧٦. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن حب الناس للدنيا قديم، وتعلّقهم بالمال وشغفهم به لا يُوصف، وقد مثّل له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: فيما روي عَنْ عَطَاء، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(١).

فلا يزال الإنسان حريصاً على المال لاهثاً وراءه، مستكثراً منه، جمّاعاً له، حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره. وقد وصل هذا الافتتان بالبعض أن يكون عبداً للمال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»(٢).

وليست هذه بعبوديّة الركوع والسجود، ولكن عبوديّة القلب، وجَعْلُ المال منطلقاً للمحبّة والرجاء والخوف، فيكون هو المقياس الذي على أساسه يقيم المرء علاقاته وتوجهاته.

إذن فهذا الموقف من المال هو المتوقّع من ابن آدم: ألا يدع فرصةً يستكثر فيها من المال إلا وانتهزها، ولا يملأ جوفه إلا التراب، فإذا سمعنا بعد ذلك عن أحد عُرضت عليه الأموال بالمكاييل، والذهب والفضّة والمجوهرات بالمثاقيل، فلم يلقِ لها بالاً، ولم يلتفت إليها أصلاً؛ علمنا أن شأناً استجدّ فاستدعى هذه المغايرة في الطباع، وهذا الانقلاب في الموازين، ومثل هذا يكون قبيل قيام الساعة؛ حيث نص العلماء على أن: من علامات الساعة الصغرى كثرة المال وفيضانه بين الناس.

وبالوقوف على الأحاديث المشتملة على ذلك؛ وجدت أنها تخبر عن أمرين سيحدثان في آخر الزمان:

الأمور الأول: انتشار المال – خاصة – والثراء بين الناس، وفيضه عن حاجتهم.

الأمر الثاني: انتشار الخيرات – بصفة عامة – وحدوث الرفاهية بين الناس.

وتفصيل ذلك كما يأتي:

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ، ٩٢/٨، رقم ٦٤٣٦.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ، ٩٢/٨، رقم ٦٤٣٥.

أولا: الأحاديث الدالة على انتشار المال – بصفة خاصة – بين الناس في آخر الزمان.

وهذه الأحاديث تدل في مجملها على أمرين:

الأوّل: طغيان المال وكثرته قبيل قيام الساعة.

الثاني: إعراض الناس عن قبوله وأخذه.

الحديث الأول: الدلالة على كثرة المال وفيضه عن حاجة الناس.

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ – وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ – حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»(١).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي"(٢).

يقول ابن بطال(٣): " ففى هذا الباب: الحض على الصدقة، والترغيب فيها ما وُجِد أهلها المستحقون لها، خشية أن يأتى الزمان الذى لا يوجد فيه من يأخذ الصدقة، وهو زمان كثرة المال وفيضه، قرب الساعة"(٤).

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجمعة – بَابُ مَا قِيلَ فِي الزَّلاَزِلِ وَالآيَاتِ، ٣٣/٢، رقم ١٠٣٦.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – بَابُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ الرَّدِّ، ١٠٨/٢، رقم ١٤١٢.

(٣) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، توفي سنة (٤٤٩ هـ = ١٠٥٧م). ينظر في ترجمته: انباء الغمر بأنباء العمر – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر ١٩٩٩م، ٣٦١/٣– ٣٦٣، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ٢٠٠١م، ١٨٤/٧– ١٨٥، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٨م، ٦٦/١، شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي – دار ابن كثير، دمشق ٢٠٠١م، ٢٦٢/٩.

(٤) شرح صحيح البخارى – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – مكتبة الرشد – السعودية ٢٠٠٣م، ٤١٤/٣.

فقوله صلى الله عليه وسلم: (فيفيض)، بمعنى: أن يزيد عن الحاجة، وهذه الكلمة مأخوذةٌ من: الفيض، وهو: زيادة الماء عن امتلاء الإناء(١).

يقول الحافظ العراقي(٢): " قوله «فيفيض» بفتح أوله فسره أهل اللغة بأن معناه: يكثر. وحينئذ فيشكل عطفه عليه في قوله «حتى يكثر فيكم المال فيفيض»

والذي يظهر لي (أي: للعراقي): أن في الفيض زيادة على الكثرة... أي: يكثر حتى يفضل منه بأيدي مُلَّاكه ما لا حاجة لهم به. وقيل: بل ينتشر في الناس ويعمهم. وهو الأولى.

فيصدق (كثرة المال) بأن يكون على قدر الحاجة، ولا يصدق فيضه إلا بزيادة على ذلك. ويوافق ذلك قول الجوهري(٣) في (الصحاح): فاض الماء أي كثر حتى سال

---

(١) لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري – دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٤/٦.

ويقول القسطلاني: " ... (فيفيض) بفتح حرف المضارعة وبالفاء والضاد المعجمة والرفع، خبر مبتدأ محذوف، أي: هو يفيض، ولأبي ذر: فيفيض، بالنصب عطفًا على: يكثر، وهو غاية، لكثرة الهرج، أو: معطوف على: ويكثر، بإسقاط العاطف. كالتحيات المباركات، أي: والمباركات. ويفيض استعارة من: فيض الماء لكثرته، كقوله:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ... ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

يقال: فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال على ضفة الوادي، أي: جانبه، وأفاض الرجل إناءه، أي: ملأه حتى فاض ".

ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني – المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ، ٢٥٦/٢.

(٢) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: (٧٢٥ – ٨٠٦ هـ = ١٣٢٥ – ١٤٠٤ م) بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان (من أعمال إربل) تحوّل صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة. وله مصنفات متعددة.

ينظر في ترجمته: انباء الغمر بأنباء العمر ١٠٠/٢ ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٤٢/٤، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١٥٩/١ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٦٦/٥، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة – دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م، ٢١٩/١.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح). وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة،فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا، توفي سنة (٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م).

ينظر في ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١١٨/٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٩٠/٢، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٩٣/١.

على ضفة الوادي، انتهى(١). فاعتبر فيه مع الكثرة زيادته عن قدر الوادي حتى يسيل على ضفته "(٢).

ومعنى (يُهِمّ): يحزنه ويقلقه ويشغل قلبه. قال صاحب العين: " يقال: أهمنى الأمر مثل أغمنى، وهمنى هما: رابنى"(٣).

ومعنى (لا أِرَب لي): أي لا حاجة لي بالمال.

يقول الحافظ العراقي: " .... وقوله «من يتقبل منه صدقة ماله» هو الفاعل، وفيه مضاف محذوف، أي: أمر. والمعنى: أن يقلق رب المال ويحزنه أمر من يأخذ منه زكاة ماله لفقد المحتاج لأخذ الزكاة لعموم الغنى لجميع الناس"(٤).

متي يحدث ذلك؟

قيل: إن ذلك قرب قيام الساعة، حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المال في آخر الزمان، وأنه سوف يصل الحال بالإنسان أنه لا يجد من يقبل صدقته، حتى يحصل له من ذلك هم، وما ذلك إلا لكثرة المال واستفاضته.

ويكون سبب عدم قبولهم الصدقة في آخر الزمان لكثرة الأموال, وظهور كنوز الأرض, ووضع البركات فيها، كما ثبت في الصحيح بعد هلاك يأجوج ومأجوج وقلة آمالهم، وقرب الساعة, وعدم ادخارهم المال، وكثرة الصدقات, والله أعلم(٥).

ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز, وبذلك جزم البيهقي, وأخرج في " الدلائل " عن عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: " إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا، ألا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم, فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما نبرح حتى نرجع بماله , نتذكر من نضعه فيه , فلا نجده "(٦).

---

(١) الصحاح – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧م، ١٩٠/٣.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب – أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي – دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠٣م. ٢٧/٤.

(٣) معجم العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م، ١٦٣/٢.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب ٢٧/٤.

(٥) شرح النووي على مسلم (لمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـ، ٩٦/٧.

(٦) دلائل النبوة – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م، ٤٩٣/٦.

والذي يبدو لي: أن هذا يقع في أكثر من زمان، فقد وقع في عصر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد أخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه من طريق عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، قال: "لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم، فلا يجد فيرجع به، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس".

وسيقع أيضا في زمن المهدي، وعند نزول عيسى عليه السلام.

ودلائل ذلك في زمن المهدي: ما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ.....» (١).

وعن زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ، وَعَلِيِّ بْنِ حُجْرٍ – وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا» قَالَ قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَا: لَا "(٢).

وأما عن زمن عيسى عليه السلام: فقد روي عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٦٠١/٤، رقم ٨٦٧٣. وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» ، ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، ٢٢٣٤/٤، رقم ٢٩١٣.

(٣) صحيح البخاري – كتاب البيوع – بَابُ قَتْلِ الخِنْزِيرِ، ٨٢/٣، رقم ٢٢٢٢، صحيح مسلم – كتاب الإيمان – بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١٣٥/١، رقم ٢٤٢.

وقد جمع ابن حجر(١) بين هذه الأحوال كلها بطريقة فريدة، واستخراج لطيف من الحديث، فقال: "والتقييد بقوله: (فيكم) (٢) يشعر بأنه محمول على زمن الصحابة، فيكون إشارة إلى ما وقع من الفتوح واقتسامهم أموال الفرس والروم، ويكون قوله: (فيفيض حتى يهم رب المال..) إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز، فقد تقدم أنه وقع في زمنه: أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة؛ فلا يجد من يقبل صدقته، ويكون قوله: (وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به ..) إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى بن مريم، فيكون في هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال، الأولى: إلى كثرة المال فقط، وقد كان ذلك في زمن الصحابة؛ ومن ثم قيل فيه: (يكثر فيكم) .. الحالة الثانية: الإشارة إلى فيضه من الكثرة، بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره، وكان ذلك في آخر عصر الصحابة وأول عصر من بعدهم؛ ومن ثم قيل: (يهم رب المال) وذلك ينطبق على ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز. الحالة الثالثة: فيه الإشارة إلى فيضه وحصول الاستغناء لكل أحد حتى يهتم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته، ويزداد بأنه يعرضه على غيره ولو كان ممن لا يستحق الصدقة فيأبى أخذه، فيقول: لا حاجة لي فيه، وهذا في زمن عيسى عليه السلام. ويحتمل أن يكون هذا الأخير خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفت أحد حينئذ إلى المال بل يقصد أن يتخفف ما استطاع ..." (٣).

والحاصل: أنه بعد سماع هذه الأخبار عن الصادق المصدوق، لا ينبغي للمسلم أن ينسى أن استفاضة المال أو حتّى قلّته إنما هو محض اختبارٍ من الحكيم العليم، أما

---

(١) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ – ١٤٤٩ م) من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة.

ينظر في ترجمته: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر – محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩م، ٧٢١/٢.

(٢) أي: في قوله صلى الله عليه وسلم: " حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ ..".

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ، ٨٨/١٣.

الحياة الحقيقيّة الدائمة فهي دار القرار، والتي قال الله سبحانه وتعالى فيها: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى: ١٧].

الحديث الثاني: الدلالة على أن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر.

عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بَنِي فُلَانٍ، وَيُلْتَمَسَ فِي الْحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فَلَا يُوجَدُ "(١).

الحديث الثالث: الدلالة على استحقار الأموال العظيمة؛ بسبب كثرتها بين أيدي الناس.

عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، أَنَّ ابْنَ زُغْبٍ الْإِيَادِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ فَقَالَ لِي: وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: " اللهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ ". ثُمَّ قَالَ: " لَيُفْتَحَنَّ لَكُمُ الشَّامُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ أَوِ الرُّومُ وَفَارِسُ حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْغَنَمِ حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا ". ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ هَامَتِي، فَقَالَ: " يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَيَّ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ "(٢).

يقول الأمير الصنعاني(٣): " ... (وأن يعطى الرجل) بالبناء للمجهول، أي: يعطيه السلطان. (ألف دينار فيسخطها) استقلالاً لها، أي: يكثر الطمع، فلا يقنع أحد بعطية وإن كثرت.." (١).

---

(١) السنن الكبرى للنسائي – كتاب البيوع – باب التجارة، ٨/٦، رقم ٦٠٠٥. وقال الألباني: صحيح.

(٢) مسند أحمد ١٥١/٣٧، رقم ٢٢٤٨٧. وقال الأرنؤوط: ضعيف.

(٣) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: (١٠٩٩ – ١١٨٢ هـ = ١٦٨٨ – ١٧٦٨ م) مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد باللَّه) ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده (في الهند) . ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء.

ينظر في ترجمته: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني – دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢م، ٣٨/٦، شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري=

الحديث الرابع: الدلالة على إخراج الأرض لكنوزها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا، أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا "(٢).

ومعنى قوله: (أفلاذ كبدها): بفتح الهمز جمع: الفلذة، وهي: القطعة المقطوعة طولا، وسمى ما في الأرض كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير; لأنها أحب ما هو مخبأ فيها، كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور، وأحبه إلى العرب، وإنما قلنا: في بطن البعير; لأن ابن الأعرابي(٣) قال: الفلذ لا يكون إلا للبعير، فالمعنى: تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها إلى ظهورها(٤).

وكبد كل شيء: وسطه، و"كَبِدُ الْقَوْسِ": ما بين وترها وموضع يد الرامي منها، و"كبِدُ البَحْرِ": وسطه، و"عَمُودُ كبِدِ الْإِنْسَانِ ، و"عَمُودُ بَطْنِه" أيضاً، كناية عن المشقة

=الحنبلي – دار ابن كثير، بيروت ١٩٩٩م، ١٨٢/٢، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ٢٠٥/٣.

(١) التنوير شرح الجامع الصغير – محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير – مكتبة دار السلام، الرياض ٢٠١١م، ٣٧٩/٦.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الزكاة – بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا، ٧٠١/٢، رقم ١٠١٣.

(٣) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله: (١٥٠ – ٢٣١ هـ = ٧٦٧ – ٨٤٥ م) راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول. أبوه مولى للعباس بن محمد بن علي الهاشمي (المتقدمة ترجمته) قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. وهو ربيب المفضّل بن محمد صاحب المفضليات. مات بسامراء. له تصانيف كثيرة.

ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان – دار صادر – بيروت ١٩٩٤م، ٤٩٢/١، تاريخ بغداد – أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي – دار الغرب الإسلامي – بيروت ٢٠٠٢م، ٢٨٢/٥، الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي – دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٩م، ٧٩/٣.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي – دار الفكر، بيروت ٢٠٠٢م، ٣٤٣١/٨.

والتعب. وقيل: على ظهره؛ لأن الظهر عمود البطن وما فيه؛ لأنه يمسكه ويقويه فهو كالعمود له(١).

فالمقصود بقوله صلى الله عليه وسلم (تقيء الأرض أفلاذ كبدها): أن تخرج الأرض ما في جوفها من الكنوز المدفونة فيها، كما قال جل ذكره: (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) [الزلزلة: ٢]، وتكون هذه القِطع عظيمةً وكبيرة، ولذلك عبّر عنها النبي عليه الصلاة والسلام بالأسطوان، وهي: السارية والعمود ونحوهما، ويقف أمام تلك الكنوز فئاتٌ من البشر وقفةَ اتعاظ، تشمل القاتل الذي قتل لأجلها، والسارق الذي قُطعت يده بسببها.

وأقول: لعل تلك القطع العظيمة – والله أعلم – هي الآثار الفروعونية ونحوها مما هو ذو حجم كبير مدفون في باطن الأرض.

ويؤكد ذلك: ما ذكره بدر الدين العيني(٢)، حيث قال في شرحه لهذا الحديث: " .. (وتلقى الأرض أفلاذ كبدها)، وهو: ما دفنته ملوك العجم كسرى وغيره، ويكثر المال حتى لا يتنافس فيه الناس "(٣).

كذلك من دلائل الاستفاضة والكثرة: ما بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتوحات، كقوله فيما روي عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ..." (٤).

---

(١) لسان العرب ٢٩٣/٦، مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي – دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م، ١٨٨/٣.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: (٧٦٢ – ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ – ١٤٥١ م) مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدَّ من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. ومصنفاته متعددة.

ينظر في ترجمته: الضوء اللامع ١٣١/١٠، شذرات الذهب ٢٨٦/٧، سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م، ٢٥٥/٥.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٩٨م، ٢٧٤/٨.

(٤) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ٢٢١٥/٤، رقم ٢٨٨٩.

ونحن نشهد تجلّيات هذه النبوءة في التاريخ، وستظهر أكثر في آخر الزمان:

أما أوّل تلك التجلّيات: فما حدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فتوحات الفرس والروم، فحينما فُتحت المدائن وجدوا في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار –هكذا جاء التعبير في كتب التاريخ(١) بتكرار كلمة ألف ثلاث مرات!– فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه، وتركوا ما عجزوا عنه.

وحين دخل سعد رضي الله عنه إيوان كسرى؛ تلا قوله تعالى: (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ) [الدخان: ٢٥–٢٨] (٢). ومثل هذه الكنوز العظيمة تُقال عن فتوحات الروم.

الحديث الخامس: الدلالة على عدم قبول الناس للصدقات بسبب كثرة المال بين أيديهم.

عن حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " تَصَدَّقُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا "(٣).

والمشهد السابق يتضمّن حالةً تكون في آخر الزمان، حين يتردّد الإنسان بالمال بين الناس ويطوف به، فلا يجد من يقبلها، هذا إذا كان حال الذّهب أعز المعادن وأكثرها قيمةً اقتصاديّة: لا يقبله أحد، فكيف الظّنّ بغيره من الأموال؟

وقد حمل كثير من العلماء معنى الحديث على أن السبب في أنه لا يقبل الصدقة: أنه المال حينئذ يكون كثير، فلا يكون ثَمَّ فقير.

ورأيت العلامة المظهري(٤) قد حمل الحديث على معنى آخر، وهو: قلة رغبة الناس في الدنيا، وليس كثرة المال وفيضه عن حاجتهم. فيقول: " قوله: (فأما اليومَ فلا

---

(١) ينظر: البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م، ٧٦/٧.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري – دار التراث – بيروت ١٣٨٧هـ، ١٦/٤، البداية والنهاية ٥٧/٧.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – بَابُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ الرَّدِّ، ١٠٨/٢، رقم ١٤١١.

(٤) الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني: من العلماء بالحديث. نسبته الى صحراء زيدان بالكوفة. له كتب متعددة. توفي سنة (٧٢٧ هـ = ١٣٢٧ م).

حاجةَ لي بها)؛ يعني: يصير الناسُ راغبين في الآخرة تاركين للدنيا، ويقنعون بقُوت يومٍ، ولا يدَّخرون المال "(١).

الحديث السادس: الدلالة – أيضا – على عدم قبول الفقراء للصدقة.

عن عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو العَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ: فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ، حَتَّى تَخْرُجَ العِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا العَيْلَةُ: فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ، حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ "(٢).

الحديث السابع: الدلالة – أيضا – على عدم قبول الفقراء للصدقة.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ، بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(٣).

يقول بدر الدين العيني(٤): " قوله: (من الذهب)، خص بالذكر مبالغة في عدم من يقبل الصدقة لأن الذهب أعز المعدنيات وأشرف الأموال، فإذا لم يوجد من يأخذ هذا ففي غيره بالطريق الأولى"(٥).

ينظر في ترجمته: كشف الظنون ٢٩٠/٤.

(١) المفاتيح في شرح المصابيح – الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري – إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١٢م، ٥٢٥/٢.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – بَابُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ الرَّدِّ، ١٠٨/٢، رقم ١٤١٣.

(٣) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – بَابُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ الرَّدِّ، ١٠٩/٢، رقم ١٤١٤. صحيح مسلم – كتاب الزكاة – بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا، ٧٠٠/٢، رقم ١٠١٢.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٧٤/٨.

الحديث الثامن: الدلالة على استفاضة المال وكثرته، حتى إن الرجل يعطى المائة دينار من الذهب؛ فيراها قليلة!! ويبحث صاحب المال عن رجل فقير يقبل منه صدقة ماله؛ فلا يجد!!

عن عَوْفِ بْنِ مَالِك، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: " اعْدُدْ ستًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ...." (١).

الحديث التاسع: الدلالة على انحسار الفرات عن جبل من الذهب.

ثمّة حادثةٌ مستقبليّة بيّنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تتحدّث عن انحسار الفرات عن جبلٍ كامل من الذهب في آخر الزمان.

وقد ورد في الدلالة على هذا الحدث عدد من الأحاديث النبوية بصيغ مختلفة، ونتيجتها واحدة. ومنها:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»، قَالَ عُقْبَةُ: وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّه، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «يَحْسِرُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ»(٢).

ب- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو "(٣).

ت- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الجزية – بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنَ الغَدْرِ، ١٠١/٤، رقم ٣١٧٦.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الفتن – بَابُ خُرُوجِ النَّارِ، ٥٨/٩، رقم ٧١١٩.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، ٢٢١٩/٤، رقم ٢٩٩٤.

النَّاسُ سَارُوا إِلَيْه، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّه، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْه، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ "(١).

إنها الفتنة التي تتضاءل عندها فتنة الناس بمال قارون الذي كان – ولا يزال – مضرباً للمثل في الطغيان المالي الذي بلغ حدّه ومنتهاه، والذي جاء وصفه القرآني في غاية البلاغة والدّقة، قال تعالى: (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) [القصص: ٧٦]. وتنطق أفواه المساكين حسرةً وطمعاً فتقول: (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [القصص: ٧٩].

لكنّ فتنة نهر الفرات تفوق نتائجُها ما حصل بسبب الثروة القارونيّة، فإن الأحاديث تتكلّم عن ثروةٍ طائلةٍ تفوق الخيال، ويمكن لصاحبها أن يتربّع عرش العالم بلا منازع، فتدين له الأمم، ويمكنه من خلال تلك الثروة أن يتحصّل على لذائذ الحياة الدنيا بجميع أشكالها.

والفرات – بالضم ثم التخفيف، وآخره تاء مثناة من فوق – أصله في كلام العرب: أعذب المياه، وهو نهر عظيم، يلتقي بدجلة قرب واسط، فيصيران نهرًا واحدًا عظيمًا يصب في بحر الهند الخليج العربي، ويقع نهر الفرات شمال شبه الجزيرة العربية، فإنه ينبع من جبال طوروس في تركيا، وتجري مياهه حتى تصبّ في شطّ العرب(٢)، وهو في أيّامنا هذه لا يزال معطاءً ومصدراً للخيرات كما كان في السابق، وسيظلّ كذلك حتى ينحسر عن جبلٍ من الذهب كما أخبر الصادق المصدوق.

وقد ذكر العلماء أن معنى الانحسار ومقصوده: أن الفرات يغور ماؤه لينكشف عن الذهب، يقول النووي: " أي: ينكشف لذهاب مائه"(٣).

وقد جاءت الروايات تصف الذهب مرّة بأنّه " كنز"، ومرّة بأنّه " جبل"، ووصف النبي صلى الله عليه وسلم له بأنّه كنز، باعتبار حاله قبل أن ينكشف، وتسميته جبلاً للإشارة إلى كثرته لا باعتبار حقيقته، كما

(١) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، ٢٢٢٠/٤، رقم ٢٩٩٥.

(٢) ينظر: معجم البلدان – شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي – دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ٢٤١/٤. بتصرف.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩/١٨.

يقول الحافظ ابن حجر(١).

وعندما تقع هذه الفتنة، ويتسامع الناس بهذا الكنز العظيم، سيتقاطرون من كلّ جانب، في سباقٍ محموم للحصول عليه والاستئثار به، فتتهافت نفوسهم على الجبل الذهبي كما يتهافت الذباب على الحلوى، وبعد ذلك: تحدث المجزرة الكبرى التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث يُقتل من كلّ مائة تسعة وتسعين، والمعنى: ندرة المتبقّين بعد تلك المقتلة.

وإننا كمسلمين مأمورون بإعتزال ذلك القتال، والنأي بأنفسنا ومن نحب عن تلك المنطقة، وعن تلك الفتنة العظيمة التي سيسيل لها لعاب الدول والجيوش وعوام الناس في كل المنطقة المحيطة بالفرات، وستكون أرقام القتلى والجرحى فيها خيالية؛ وعليه فنحن مأمورون أن نعتزل ذلك القتال؛ لأنه قتال على الذهب، وعلى الدنيا، ولتكون كلمة المتقاتلين هي العليا، ونحن مأمورون بالقتال لتكون كلمة الله وحده هي العليا.

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم حكايةً عن المتقاتلين: (ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو)، لفتةٌ تدلّ على عظم هذه الفتنة، والغشاوة التي تغشى عقول هؤلاء بحيث ينسون أن بغيتهم ومطلبهم باهظ الثمن، قد يكون مقابله بذل المُهج والأرواح، وأن فرصة النجاة ضئيلة، ولكنّه الطمع الذي لا ينتهي.

يقول القسطلاني(٢): " والأصل أن يقول: أنا الذي أفوز به فعدل إلى قوله أنجو لأنه إذا نجا من القتل تفرّد بالمال وملكه "(٣).

ويقول الملا على قاري(٤): " ... أي: يرجو كل واحد منهم أن يكون هو الناجي فيقتل الباقي في الحال رجاء أن ينجو في المآل فيأخذ المال، وهذا من سوء الآمال وتضييع الأعمال "(١).

---

(١) فتح الباري ٨٠/١٣.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري – المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ، ٢٠٤/١٠.

(٤) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القرآآت والتفسير فيبعيه فيكفيه قوته من العام إلى العام. وصنف كتبا كثيرة. توفي سنة (١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م).

وقال الطيبي(٢): " فيه كناية ; لأن الأصل أن يقال: أنا الذي أفوز به، فعدل إلى أنجو; لأنه إذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه "(٣).

ثم يوجه النبي صلي الله عليه وسلم النصيحة والإرشاد لمن يحضر من أمته تلك الفتنة، فيقول: (فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا). والسرّ في ذلك – كما يذكر الشرّاح – أن النهي متعلّقٌ بالآثار المترتّبة عليه (وهي: المقاتلة) وليس لذاته، ولما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه(٤)، فهو من باب سدّ الذريعة، وإلا فإن أصل المال طيّب.

ومنشأ هذه الفتنة المستقبليّة التي لم نرها حتى الآن: الاغترار بالدنيا وزخرفها، والحرص على جعل اللذائذ الفانية واعتبارها غاية المراد ومنتهى المطلب، وهو الأمر الذي حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة.

زمن حدوث تلك الحادثة:

اختلف الأئمة في تحديد زمن حدوث ذلك:

فذهب الإمام البخاري إلى أنه يقع مع خروج النار، وذلك عند الحشر؛ ومن ثم يؤخذ السبب في عدم قبول الناس ما يعرض عليهم من الأموال، وكذلك سبب النهي عن أخذ شيء مما يحسر عنه الفرات، وهو انشغالهم بأمر الحشر، بحيث لا يلتفت أحد منهم إلى المال، بل يقصد أن يتخفف منه ما استطاع.

يقول ابن حجر(٥): " .... إن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة، فلا يلوي على الأهل فضلاً عن المال، وذلك في زمان الدَّجَّال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ، بحيث

ينظر في ترجمته: البدر الطالع ١٠٣/٣، كشف الظنون ١٧١/٤.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٤٣١/٨.

(٢) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. له مصنفات متعددة. توفي سنة (٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م).

ينظر في ترجمته: الدرر الكامنة ٦٨/٢، البدر الطالع ٢٢٩/١، كشف الظنون ٧٢٠/١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) – شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي – مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ١٩٩٧م، ٣٤٣٨/١١.

(٤) فتح الباري ٨٠/١٣.

(٥) سبق ترجمته.

يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره، وذلك في زمن المهدي وعيسى ابن مريم، وإما عند خروج النار التي تسوقهم إلى المحشر، فيعز حينئذ الظَّهر، وتباع الحديقة بالبعير الواحد، ولا يلتفت أحدٌ حينئذ إلى ما يثقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله، وهذا أظهر الاحتمالات وهو المناسب لصنيع البخاري، والعلم عند الله تعالى "(١).

وذهب الحليمي(٢) في (المنهاج في شعب الإيمان) إلى أنه يقع في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام، فإنه ذكر حديث حسر الفرات ثم قال: " فيشبه أن يكون هذا الزمان الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد، و ذلك في زمان عيسى عليه السلام، ولعل سبب هذا الفيض العظيم: ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين "(٣).

وقال القرطبي(٤): " ويحتمل أن يكون نهيه عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار. ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا، ويحتمل أن يكون لا يجري به مجرى المعدن، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه، فكان الانقباض عنه أولى"(٥).

---

(١) فتح الباري ٨٢/١٣.

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٢ م) فقيه شافعيّ، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج) في شعب الإيمان، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره.
ينظر في ترجمته: الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م، ٢٣٥/٢.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان – الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي – دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م، ٤٣٠/١.

(٤) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرّح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة (٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م). له مصنفات متعددة.
ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٠٧/٤، كشف الظنون ٢٠١/٣، الأعلام ٣٢١/٥.

(٥) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة – محمد بن أبي بكر القرطبي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م، ص١٨٣.

ويبدو لي – والله أعلم – أن الأنسب حمل هذه الأحاديث على محمل واحد، وهو أن ذلك يقع بعد نزول عيسى عليه السلام، حين تخرج الأرض بركتها حتى تشبع الرمانة الواحدة أهل البيت كلهم، ولا يبقى في الأرض كافر(١)، كما جاء في حديث النواس في سياق طويل عن قصة الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام.

بقي أن نُشير إلى مسألة نجدها في الكتب المعاصرة، وهي: محاولة تفسير جبل الذهب بالبترول، باعتبار أن الاقتصادات العالميّة تسميّه الذهب الأسود.

وممن ذكر ذلك: محمد فهيم أبوعبية في تحقيقه لكتاب (الفتن والملاحم) لابن كثير.

ولا شكّ في اعتلال هذا المسلك الأعوج في تأويل النبوءات قبل وقوعها وإخراج الألفاظ عن مدلولاتها، وهو ما يُشير بجلاء إلى خضوع الفكر لسطوة المفاهيم الماديّة. ويمكن أن يجاب عليه من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على جبل الذهب نصًا لا يحتمل التأويل، ومن حمل ذلك على البترول الأسود؛ فقد حمل الحديث على غير ما أريد به، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه.

الوجه الثاني: أن البترول ليس بذهب حقيقة ولا مجازًا، وأما تسمية بعض الناس له بالذهب الأسود؛ فليس مرادهم أنه نوع من أنواع الذهب، وإنما يقصدون بذلك أنه يحصل من ثمنه الذهب الكثير؛ فلذلك يطلقون عليه اسم الذهب الأسود؛ اعتبارًا بما يستثمر منه.

الوجه الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الفرات يحسر عن جبل من ذهب؛ أي: ينكشف عنه لذهاب مائه، فيظهر الجبل بارزًا على وجه الأرض؛ وهذا

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، ٤/٢٢٥٠، رقم ٢٩٣٧. ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "... ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ = = بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ".

لم يكن إلى الآن، وسيكون فيما بعد بلا ريب، وبحور البترول الأسود لم ينحسر الفرات عنها، وليست في مجرى النهر، وإنما هي في باطن الأرض، واستخراجها إنما يكون بالتنقيب عنها بالآلات من مسافة بعيدة في بطن الأرض.

الوجه الرابع: أن الذي جاء في الحديث الصحيح هو «حسر الفرات عن كنز من ذهب،» وفي الرواية الأخرى: «عن جبل من ذهب» ، وتخصيص الفرات بالنص ينفي أن يكون ذلك في غيره، ومن المعلوم أن بحور البترول ليست في نهر الفرات، وإنما هي في مواضع كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها، وهي في البلاد العربية المجاورة للعراق أكثر منها في العراق.

الوجه الخامس: أن البترول من المعادن السائلة، والذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانحسار الفرات عنه هو الذهب المعروف عند الناس، وهو من المعادن الجامدة، ومن جعل المعدنين سواء؛ فقد ساوى بين شيئين مختلفين.

الوجه السادس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الناس إذا سمعوا بانحسار الفرات عن جبل الذهب؛ ساروا إليه، فيكون عنده مقتلة عظيمة، يقتل فيها من كل مائة تسعة وتسعون، وهذا لم يكن إلى الآن، ومن المعلوم أن البترول الأسود قد وجد في العراق منذ زمان طويل، ولم يسر الناس إليه عند ظهوره، ولم يكن بسبب خروجه قتال ألبتة.

الوجه السابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى من حضر جبل الذهب أن يأخذ منه شيئًا، ومن حمله على البترول الأسود؛ فلازم قوله: أن يكون الناس منهيين عن الأخذ منه، وهذا معلوم البطلان بالضرورة(١).

والحقّ أن نقول: لن نعلم حقيقة هذا الإخبار الغيبيّ وكيفيّته إلا بعد وقوعه، ممتثلين في ذلك بالأمر الربّاني: (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [آل عمران: ٧].

فائدة: جاء في بعض الأحاديث ما يدل على الانحسار عن الذهب في منطقة أخرى غير الفرات، ولعلها – والله أعلم – المملكة السعودية، أو دول الخليج.

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة – حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري – دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤هـ، ٢/١٨٥ – ١٨٧.

فعَنْ أَبِي غَطَفَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: « تَخْرُجُ مَعَادِنُ مُخْتَلِفَةٌ مَعْدِنٌ مِنْهَا قَرِيبٌ مِنَ الْحِجَازِ يَأْتِيهِ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ، يُقَالُ لَهُ فِرْعَوْنُ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَعْمَلُونَ فِيهِ إِذْ حَسَرَ عَنِ الذَّهَبِ فَأَعْجَبَهُمْ مُعْتَمَلُهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ وَبِهِمْ »(١).

والمعادن: المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض؛ كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك.. وشرار الناس هم الكفار، وهذا ما ابتلي به المسلمون اليوم من جلبهم للأوربيين والأمريكان إلى بلادهم العربية لاستخراج معادنها وخيراتها، ولا مانع في إتيان المسلم تلك المعادن إذا أتاها لطلب المعيشة، وفيها استصلاح الرعية لما يكون لبيت المال، كما أنه لا بأس بنبش قبور هؤلاء طلبًا للمال.

ووصفهم بشرار الخلق؛ لأنهم لم يأتمروا بتركها؛ لأنه يلزم على حضورها والتزاحم عليها حدوث الفتن التي تؤدي إلى الهرج والقتل، ورغم ذلك وفي نهاية الأمر يؤول الجميع إلى الحرمان، فلا يكون لأحد؛ لأنه كما في الحديث: (إذ خسف به وبهم).

ثانيا: كثرة الخيرات – بصفة عامة – في آخر الزمان.

وردت أحاديث متعددة تدل على أنه في آخر الزمان ستكثر الخيرات – بصفة عآمة – وليس المال وحده؛ حيث سيكثر الطعام والشراب وتنتشر الرفاهية في الملابس ..وغيرها.

ومما ورد في ذلك ما يأتي:

الحديث الأول: الدلالة على كثرة الأطعمة والرفاهية في الملابس.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ، سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، يَقُولُ: إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ طَلَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مَا

(١) المستدرك على الصحيحين ٥٠٥/٤، رقم ٨٤١٥. وقال الحاكم: " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ". ووافقه الذهبي.

عَلَيْهِ إِلاَّ بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالَّذِي هُوَ اليَوْمَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الكَعْبَةُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا اليَوْمَ نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ وَنُكْفَى الْمُؤْنَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأَنْتُمُ اليَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ "(١).

وفي رواية أخرى: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: دُعِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ إِلَى طَعَامٍ، فَلَمَّا جَاءَ رَأَى الْبَيْتَ مُنَجَّدًا، فَقَعَدَ خَارِجًا وَبَكَى قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَيَّعَ جَيْشًا بَلَغَ عَقَبَةَ الْوَدَاعِ قَالَ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِمَ أَعْمَالِكُمْ» قَالَ: فَرَأَى رَجُلًا ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ رَقَعَ بُرْدًا لَهُ بِقِطْعَةٍ، فَاسْتَقْبَلَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَقَالَ: هَكَذَا، وَمَدَّ يَدَيْهِ وَمَدَّ عَفَّانُ يَدَيْهِ وَقَالَ: " تَطَالَعَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَيْ أَقْبَلَتْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَمْ إِذَا غَدَتْ عَلَيْكُمْ قَصْعَةٌ وَرَاحَتْ أُخْرَى، وَيَغْدُو أَحَدُكُمْ فِي بُرْدَةٍ وَيَرُوحُ فِي أُخْرَى، وَتَسْتُرُونَ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ " فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ: أَفَلَا أَبْكِي فَقَدْ بَقِيتُ حَتَّى تَسْتُرُونَ بُيُوتَكُمْ بِهِ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ(٢).

و(الحُلَّة): الرداء. والمعنى: " كيف يكون حالكم إذا كثرت أموالكم، بحيث يلبس كل منكم أول النهار حلة وآخره أخرى من غاية التنعم؟ (ووضعت بين يديه صحفة) أي: قصعة من مطعوم (ورفعت أخرى) أي: من نوع آخر، وهو كناية عن كثرة أصناف الأطعمة الموضوعة على الأطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الأعجام (وسترتم بيوتكم) بضم الموحدة وكسرها أي: جدرانها، والمعنى: زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعيم ..." (٣).

الحديث الثاني: الدلالة – أيضا – على كثرة الأطعمة والرفاهية في الملابس.

عَنْ أَبِي حَرْبٍ، أَنَّ طَلْحَةَ حَدَّثَهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ لِي بِهَا مَعْرِفَةٌ، فَنَزَلْتُ فِي الصُّفَّةِ مَعَ رَجُلٍ فَكَانَ بَيْنِي

(١) سنن الترمذي – أبواب الزهد – بابٌ..، ٢٢٨/٤، رقم ٢٤٧٦. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي – كتاب الصداق – بَابُ مَا جَاءَ فِي تَسْتِيرِ الْمَنَازِلِ، ٤٤٣/٧، رقم ١٤٥٨٧. وقال البوصيري في (إتحاف الخيرة ١١٥/٥): " هذا إسناد رواته ثقات ".

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٣٦٤/٨.

وَبَيْنَهُ كُلَّ يَوْمٍ مُدٌّ مِنْ تَمْرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْرَقَ بُطُونَنَا التَّمْرُ، وَتَخَرَّقَتْ عَنَّا الْخُنُفُ، فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ: " لَوْ وَجَدْتُ خُبْزًا، أَوْ لَحْمًا لَأَطْعَمْتُكُمُوهُ، أَمَا إِنَّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تُدْرِكُوا، وَمَنْ أَدْرَكَ ذَاكَ مِنْكُمْ أَنْ يُرَاحَ عَلَيْكُمْ بِالْجِفَانِ، وَتَلْبَسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ "(١).

ومعنى قوله: (بِالْجِفَانِ) بكسر الجيم، جمع جَفنة بفتحها، وهي: القصعة، وهي إشارة إلى كثرة الأكل والطعام. ومعنى قوله: (وَتَلْبَسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ)، يعني: من أفخر الملابس(٢). وهو – أيضا – كناية عن التنعم والرفاهية التي سيعيشها الناس فى آخر الزمان، بسبب كثرة الثراء والغنى.

وبعد؛ فهذه جملة من الأحاديث التي وقفت عليها في الدلالة على كثرة المال – بوجه خاص – وكثرة الخيرات – بوجه عام – في آخر الزمان.

(١) مسند أحمد ٣٦٤/٢٥، رقم ١٥٩٨٨. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن أبي هند، وأبي حرب– وهو ابن أبي الأسود– فمن رجال مسلم، وأبو حرب قيل: اسمه محجن، وقيل: عطاء. وصحابيه طلحة– وهو ابن عمرو البصري– لم تقع له رواية في شيء من الكتب الستة، وليس له غير هذا الحديث.

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـ) – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م، ١١٠/١٩.

الخاتمة

وفى خاتمة هذا البحث، فإن أذكر أبرز ما توصلت إليه من نتائج، كما يأتى:

١- من كثرة المال واستفاضته في آخر الزمان: أن الأرض تكشف عن كنوزها المدفونة فيها ويزهد الناس في المال؛ لكثرته.

٢- الأحديث السابقة كلها دلالةً على أن فتح الدنيا لا خير فيه؛ لأنه لو كان فيه خير لكان زمان النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، وزمان أصحابه، والتابعين تُفتح فيه الدنيا أكثر من آخر الزمان، فدلّ على أنه من جملة الفِتَن التي تقع عند قرب الساعة.

٣- من علامات الساعة: استفاضة المال وكثرته، حتى إن الرجل يعطى المائة دينار من الذهب؛ فيراها قليلة!! ويبحث صاحب المال عن رجل فقير يقبل منه صدقة ماله؛ فلا يجد!!

٤- نصَّ كثير من العلماء على أن السبب في عدم قبول الناس للصدقة في آخر الزمان: أن المال حينئذ يكون كثير، فلا يكون ثَمَّ فقير.

٥- بينما ذهب بعض العلماء إلى أن السبب في ذلك هو: قلة رغبة الناس في الدنيا، وليس كثرة المال وفيضه عن حاجتهم.

٦- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما سيحدث في زماننا من استخراج الناس والدول للآثار المدفونة في باطن الأرض.

هذا وما كان من توفيق في هذا البحث فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه برئ، وأسأل الله أن يغفر لي زللي، ويستر عيبي.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فهرس المصادر والمراجع

١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة – حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري – دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٤هـ.

٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني – المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ.

٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري – المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣هـ.

٤) الأعلام – خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي – دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م.

٥) إنباء الغمر بأنباء العمر – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر ١٩٩٩م.

٦) البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني – دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٢م.

٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي – المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٨م.

٩) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري – دار التراث – بيروت ١٣٨٧هـ.

١٠)تاريخ بغداد – أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي – دار الغرب الإسلامي – بيروت ٢٠٠٢م، ٢٨٢/٥،

١١)التذكرة في أحوال الموتى والآخرة – محمد بن أبي بكر القرطبي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

١٢)التنوير شرح الجامع الصغير – محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير – مكتبة دار السلام، الرياض ٢٠١١م.

١٣)الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر – محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٩م.
١٤)دلائل النبوة – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي – دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.
١٥)سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي – مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.
١٦)شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي – دار ابن كثير، دمشق ٢٠٠١م.
١٧)شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـــ (الكاشف عن حقائق السنن) – شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي – مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ١٩٩٧م.
١٨)شرح النووي على مسلم (لمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) – أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢هـــ.
١٩)شرح صحيح البخارى – ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك – مكتبة الرشد – السعودية ٢٠٠٣م.
٢٠)الصحاح – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي – دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧م.
٢١)الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ٢٠٠١م.
٢٢)طرح التثريب في شرح التقريب – أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي – دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠٣م.
٢٣)عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى – دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٩٨م.
٢٤)فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـــ.
٢٥)الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني – أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٧٨ هـــ) – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٦م.

٢٦)لسان العرب – محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري – دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ.
٢٧)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي – دار الفكر، بيروت ٢٠٠٢م.
٢٨)معجم البلدان – شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي – دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.
٢٩)معجم العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي – دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١م.
٣٠)المفاتيح في شرح المصابيح – الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري – إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١٢م.
٣١)مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي – دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م.
٣٢)المنهاج في شعب الإيمان – الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي – دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م.
٣٣)الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي – دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٩م.
٣٤)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان – دار صادر – بيروت ١٩٩٤م.